

البراديجم في علوم الإعلام والاتصال

بين الضرورة المنهجية والصعوبات البحثية الإجرائية

The Paradigm In information and communication sciences

Between methodological necessity and procedural research difficulties

Mail: souad_serai@yahoo.fr

د/ سعاد سراي، جامعة بسكرة، الجزائر

تاريخ القبول: 2018/6 / 3

تاريخ الاستلام : 2018/5/8

الملخص:

تتحدّد قيمة وأهمية أي بحث علمي بشكل كبير من خلال بنائه المنهجي وترابط أفكاره وتكاملها، لذا ينبغي التأكيد على أهمية الشق المنهجي أثناء تقييم نتائج أي عمل أكاديمي، وتطرح مسألة البحث في الظواهر الإعلامية والاتصالية العديد من الإشكاليات المتعلقة بالمنهج، الفرضيات، الأدوات البحثية وغيرها. إلى جانب تحديد الأطر النظرية التي يندرج البحث ضمنها. في هذا السياق، تبرز أهمية البراديجم كإطار موجه ومنظم للبحث العلمي. وهو ما نسعى إلى إبرازه من خلال هذه الورقة البحثية. وهذا بتقديم نماذج من البراديجمات المستخدمة في بحوث الإعلام والاتصال.

الكلمات المفتاحية: البراديجم؛ منهجية البحث العلمي؛ علوم الإعلام والاتصال

Abstract:

The value and importance of any scientific research is determined by its methodological structure, the coherence of its ideas, and its integration. Therefore, the importance of the methodological aspect should be emphasized in the evaluation of the results of any academic work. The question of research in information and communication phenomenon raises many problems related to methodology, hypotheses and research tools. In this context, the importance of paradigms is highlighted as a guiding and systematic framework for scientific research. Which we seek to highlight through this paper. This is by providing examples of paradigms used in information and communication research.

Keywords: The Paradigm; Methodology of scientific research; Information and communication sciences

تمهيد:

لا شك أنّ الكتاب الذي أصدره "توماس سامويل كون" (Thomas Samuel Kuhn)¹ سنة 1962 بعنوان "بنية الثورات العلمية" (The structure of scientific revolutions)²، قد أحدث ثورة في مختلف العلوم والمجالات. سيما في العلوم الإنسانية والاجتماعية. في هذا الصدد، يقول الباحث الإنجليزي في علم الاجتماع "إيان كريب" (Ian Craib): «إنّ من المفارقات أنّ أحد أهم الكتب المؤثرة في علم الاجتماع منذ ثلاثين سنة الماضية، لم يكن في علم الاجتماع على الإطلاق، بل في تاريخ العلوم الطبيعية، أقصد كتاب توماس كون "بنية الثورات العلمية"»³.

يقدم "كون" نظرة مختلفة لتاريخ تطور العلوم، ويتيح لنا إعادة التفكير في كيفية تراكم المعرفة العلمية. واستخدم في شرح أفكاره مجموعة من المصطلحات أبرزها البراديجم أو النموذج الإرشادي، هذا المصطلح يعد بمثابة الكلمة المفتاحية لفهم أفكار "كون"، ومن ثمّ لفهم أهمية البراديجم في أي مجال بحثي. خصوصا في مجال علوم الإعلام والاتصال.

إنّ الإشكاليات والقضايا والمواضيع الكثيرة التي يتيحها البحث في مجال علوم الإعلام والاتصال، خصوصا في ظل التطور التكنولوجي الهائل، والتحديات التي يفرضها. تستوقفنا عند الأطر المنهجية التي ينبغي أن نحتّم بها بمقدار اهتمامنا بموضوع الدراسة نفسه. حيث أنّ الباحث الذي يسعى لتحقيق أهداف محدّدة من خلال دراسة موضوع معين، لا بدّ من أن يسلك منهجا سليما منذ البداية حتى لا تتشتّت جهوده. من هذا المنطلق سنحاول أن نبيّن أهمية البراديجم باعتباره مرشدا وموجّها للباحث في مجال الإعلام والاتصال.

1-تعريف البراديجم:

1-1 لغة: البراديجم (Paradigm) كلمة يعود أصلها إلى الكلمة اللاتينية (Paradigma)، والإغريقية مأخوذة من الأصل اليوناني (Paradeigma)، وتعني "مثالا" أو "نموذجا" (Pattern)، و(Paradeigma) يرجع بدوره إلى الفعل (Paradeiknunai) الذي يعني "قارن".

تتركب كلمة (Paradeigma) من عنصرين (Para) التي تفيد الشمول، و (deigma) التي تعني "المثال" أو "النموذج". والبراديجم يعني "المثال" أو "النمط"، وهو أسلوب أو طريقة، طراز، نوع، صنف.

ورد في معجم "لاروس" (La Rousse): «البراديجم في قواعد اللغة التقليدية، جميع الأشكال المستخرجة من كلمة واحدة، إنه النموذج. (على سبيل المثال، اشتقاق اسم أو تعريف فعل). في اللسانيات البنوية، جميع الوحدات القابلة للاستبدال في سياق معين. وفي النظرية الاقتصادية، اختيار المشاكل التي تستُدرس والتقنيات الخاصة بدراساتها»⁴.

وفي معجم أوكسفورد (Oxford): «البراديجم هو وجهة نظر العالم التي تقوم عليها النظريات، ومنهجية البحث في الميادين العلمية على وجه الخصوص، مثلا اكتشاف الجاذبية الكونية، أصبح براديجم العلم الناجح»⁵.

وتعدّ ترجمات مصطلح براديجم بمعناه الاصطلاحي الذي جاء به "كون"، عند الباحثين العرب، بين من يستخدم مصطلحات الأنموذج، النموذج، الأنموذج الإرشادي، النموذج - الموجه، النموذج العلمي الموجه، وبين من يستخدم كلمة براديجم كما هي دون ترجمة تفاديا لتعدد الترجمات، واختلاف التأويل.

1-2 اصطلاحا: إنّ البراديجم أو النموذج العلمي الموجه، هو تلك الانجازات العلمية، والتي تُقبل في زمن معيّن، وتشكّل أساسا قويا لطرّح للمشكلات العلمية ولطرائق حلّها. وهو كذلك مجموعة القيم التي يشترك الباحثون في قبولها والتمسك بها. وتتمثّل هذه القيم في المناهج والمعايير التي تتحدّد وفقا له. لأنّ نموذجا علميا موجهها واحدا، يكون منطلقا لاكتشافات عديدة. من خلال أمثلة منتقاة، وغير مكتملة أيضا، وبذلك فهو تقليد علمي خاص ومنسجم.⁶

يقول "كون": «لا يظهر الاكتشاف، ولا تصير النظرية براديجما، إلا عندما تُصاغ التجربة والنظرية المؤقتة معا صياغة تجعلهما متفقتين»⁷. إنّ الأشخاص الذين يقوم بتحتم على براديجمات مشتركة، يكونون ملتزمين بقواعد ومعايير الممارسة العلمية نفسها. وذلك الالتزام وما ينجم عنه من اتفاق ظاهري، هما الشرطان الضروريان للعلم العادي، أي لنشوء واستمرار تقليد خاص من تقاليد

البحث.⁸ و العلم العادي ذلك البحث المؤسس بصورة راسخة على واحد أو أكثر من الإنجازات العلمية السابقة، والتي يعتبرها متّحد علمي ما، الأساس لممارسته العلمية اللاحقة.⁹

لقد كان مفهوم التطور في العلوم الطبيعية خاضعا لتصور آخر قائم على "الضرورة العقلانية"، بمعنى أنّ الانتقال من نظرية علمية إلى أخرى، يتم بالضرورة عند اكتشاف معطيات جديدة. والتطور العلمي من منظور هذا الاتجاه، يقوم على فعالية منطقية ومتعالية غير خاضعة للمؤثرات السوسولوجية والثقافية والمؤسسية. في حين ينطلق "كون" من تصور مخالف، ينظر إلى العلم كفاعلية لأفراد مؤطّرين ضمن "مؤسسة علمية"، خاضعة للالتزامات مذهبية وقوانين مؤسسية، تضع الشروط التي تشتغل فيها الجماعة العلمية، والقيود التي تنظم عمليات الاستدلال والبرهنة، من حيث أدوات التجريب، وإجراءات القياس، وطريقة استعمال الآلات، وآليات المراقبة، وتنظيم النتائج... إلخ.

10

يقول "كون": «إنّ العلم العادي، هذا النشاط المنصب على حل الأحجيات، هو مشروع تراكمي كبير، حقّق نجاحا بارزا في إصلة هدفه، الذي هو توسيع مدى المعرفة العلمية ودقّتها. فهو من هذه النواحي ينسجم انسجاما دقيقا مع الصورة العادية للعمل العلمي،.. صحيح أنّ العلم العادي لا يهدف إلى الكشف عن جديد، لا على مستوى الوقائع، ولا على مستوى النظرية، حتى في حال نجاحه. غير أنّ البحث العلمي طالما رفع الغطاء عن ظواهر جديدة وغير متوقعة. وأنّ العلماء ابتكروا نظريات جديدة جذرية في حضمه. والنتيجة هي أنّ البحث في ظل براديجم لا بدّ أن يكون طريقة فعالة لإحداث تغيير في البراديجم. وهذا هو بالضبط ما يفعله جديد الوقائع والنظريات».¹¹

خلاصة القول أن "كون" يعني بالبراديجم مجموعة القوانين والتقنيات، والأدوات المرتبطة بنظرية علمية والمسترشدة بها، والتي بواسطتها يمارس الباحثون عملهم، ويديرون نشاطهم، وحالما تتأسس تتخذ اسم العلم العادي.¹²

ويعرض "كون" أربعة خصائص للبراديجم:¹³

- يتضمّن قوانين وتعريفات وتعميمات رمزية (Modelization)، وكلما كثر عددها، كان العلم أكثر قوة.

- يتضمّن نماذج ميتافيزيقية واعتقادات (Beliefs) معينة، تتيح للمجموعة العلمية استلهاهم الرموز والاستعارات لشرح النظرية العلمية.
- يتضمّن قيم (Values)، من قبيل تماسك النظرية العلمية، واتساقها الداخلي، وكذا انسجامها مع الواقع. والقيم تشمل أيضا المواقف المشتركة للعلماء تجاه أزمات العلم، وتجاه النظريات المجدّدة.
- يتضمن نماذج (Exemples) في شكل معارف ضمنية، تُكتسب عن طريق ممارسة العلم.

في الأخير، لن نخرج إلا بنفس النتيجة التي خرج بها " ألان شالمرز " (Alan F. Chalmers)، وهو يعرض الخطوط الكبرى لإبستمولوجية "كون"، حين لاحظ أنّ مفهوم البراديجم يتغلّت أثناء محاولة تعريفه: « إنّنا لن نفهمه إلاّ من خلال وظيفته كموجه يوجه الباحثين، وهم يشتغلون في إطار "العلم السائد" ولعلّ هذا التعريف الوظيفي، هو ما يقرّنا من تحليل "كون" القائل بأنّ النشاط العلمي لا يمكن أن يتطوّر إلاّ داخل براديجم معتمد من طرف أعضاء مجموعة علمية، وهم يشتغلون في إطار من المحاجة العلمية العاقلة.¹⁴

2- السياق التاريخي لظهور البراديجم:

لفهم السياق التاريخي لظهور فكرة البراديجم في البحث العلمي، لا بد من الوقوف عند المدارس الإبستمولوجية الأساسية التي سبقت ظهور المدرسة الثورية، التي أسست لمفهوم البراديجم وأهميته في البحث العلمي، والتي تختلف في طريقة الملاحظة، والتحليل، وتأويل الواقع. والإبستمولوجيا في أبسط تعريفاتها هي دراسة العلم من المنظور الفلسفي، أي دراسة نقدية للعلوم من حيث الأسس والمسلمات، وأهميتها بالنسبة للعلم.

تقدّم المدارس الإبستمولوجية الأساسية منظورات مختلفة حول الموضوع العلمي، فكل منها تركّز طريقته في ملاحظة وتحليل وتفسير الواقع. وفيما يلي عرض مختصر لهذه المدارس وخصائصها:

1-2 المدرسة التجريبية: أبرز روادها "دافيد هيوم" (David Hume) (1711-1776م)، تؤمن بفكرة أنّ المعرفة تُكتسب عن طريق الممارسة، والدليل يكون مقبولا فقط إذا اعتمد على

معطيات إمبريقية قابلة للملاحظة عن طريق الحواس الإنسانية. تتبنى أسلوب الاستدلال الاستقرائي.

2-2 المدرسة الوضعية: أبرز روادها "أوغست كونت" (Auguste Comte) (1857-1798)، تقوم على التفكير الاستنباطي. وهي مدرسة تطبيق الملاحظة المنهجية المنتظمة، والنظرية المحددة للوقائع القابلة للدرس. إن ملاحظة الظواهر تجعل استخراج القوانين التي تحكم العالم، وتسمح بتقلّمه الاجتماعي، أمراً ممكناً.

3-2 المدرسة التطورية: أبرز روادها "تشارلز داروين" (Charles Darwin) (1882-1809)، فسّر التطور البيولوجي عن طريق ما أسماه بالانتخاب الطبيعي، وبناء على أسس التطور الثقافي والاجتماعي، تُقسّم المجتمعات إلى متخلّفة، وأخرى متقلّمة. تقوم المدرسة التطورية على استنباط المعرفة من المقارنة بين مراحل تطور مختلف الحضارات، وبذلك يمكن استنتاج قوانين التحول.

أتاحت المدارس الثلاث: التجريبية، الوضعية، والتطورية تقديم ثلاث رؤى أو مقاربات منهجية ونظرية في النظرة إلى العلم، وتزويد المشتغلين بالعلوم بمسلّمات ونظريات. في حين أنّ المدرسة الثورية مقارنة حديثة للابستمولوجيا، كما أنّها لا تعمل على التحقّق من صلاحية علم بعينه، بل على نقد تاريخ العلوم. تعطي هذه المقاربة التاريخية نظرة جديدة حول تطور المعرفة العلمية عبر القرون.

تعتبر فكرة البراديغم أو "النموذج - الموجه"، من الأفكار الأساسية في فلسفة "كون"، وفي تصوره الابستمولوجي لتاريخ العلم. وقد استثمرت هذه الفكرة في مجالات متعدّدة ومتباينة، نظراً لأهمّيّتها وقدرتها على التفسير والفهم. فتاريخ العلم عند "كون" ينطلق من مرحلة ما قبل نضج العلم، حيث تميّز بتضارب الآراء، واختلافها، وتجلّي في مدارس أو اتجاهات تعبر كل واحدة منها عن وجهة نظر تخصّها.¹⁵

وفق "كون"، تَمّ العلم خلال مراحل تطورها بفترات أزمت، هذه الأزمت تولّد "ثورات علمية"، والتي بدورها تكرر مجموعة جديدة من النظريات عن طريق الغليان الفكري. هذه الثورات تؤدي إلى ما يسميه "كون": البراديغمات، والبراديغم هو نظرة سوية ومشروعة للعالم. يجلّد هذا المفهوم المشترك ترتيب الاهتمامات والمسائل والنظريات والمناهج الخاصة بكل علم من العلوم.¹⁶

فمثلا قبل أن تكون الفيزياء الأرسطية نموذجا موجهًا لكل الأبحاث الفيزيائية، أساسا في العصر الوسيط، كانت هناك آراء مختلفة وأسطورية ينتجها سابقوه حول هذه الظواهر الفيزيائية. لكن حينما يتشكل البراديجم يصبح " العلم - المطابق"، أي العلم العادي، يشتغل وفقه وعلى أساسه. ويتجلى ذلك من خلال مختلف عمليات تكوين العالم. سواء داخل المختبرات، أو من خلال الكتب المدرسية المتخصصة. حيث يقوم البراديجم بتقديم مختلف أدوات البحث والحساب والتقويم، إذ يتكون من فرضيات، ومن قوانين وتقنيات ضرورية لتطبيقه من طرف أعضاء جماعة علمية معينة. فتبني هذه الجماعة العلمية لبراديجم، عن طريق ما نسميه بـ "العلم المطابق"، يواجه بصعوبات ومشاكل، يحاول هؤلاء حلها وتجاوزها بتوسيع البراديجم، والكشف عن بعض العناصر الأخرى، ودمجها في وحدة متكاملة، وإذا لم يتم التغلب على تلك الصعوبات، تنشأ أزمة. وحينما تنمو وتتطور، تجد حلها في براديجم جديد، ينبثق ويحظى بقبول وإجماع العلماء. وهذا التحول والانتقال من براديجم إلى آخر جديد، هو ما يسمى بالثورة.¹⁷

والنموذج التالي يوضح هذه الفكرة:¹⁸

أزمة	علم مطابق	براديجم	براديجم جديد	علم مطابق جديد	ثورة

--	--	--	--	--	--

تاريخ العلم عند كون

تمثل أعمال "كوبرنيكس" (Copernics)، "نيوتن" (Newton)، و"أينشتاين" (Einstein) ثورات علمية كبرى في تاريخ العلوم الفيزيائية. كل واحدة من هذه الثورات، تستلزم إلغاء نظرية علمية كانت سائدة ومكرّسة في وقتها، واستبدالها بنظرية أخرى معارضة لها. ويؤدي هذا الاستبدال إلى تحوّل في المشكلات التي تشغل بال الباحثين العلميين. ومن هذه المشكلات الجديدة، تتبع مقاييس، من خلالها، يقرّ العلماء ما يمكن اعتباره مشكلة مقبولة، أو ما يمكن اعتباره حلا مشروعا. تُغيّر هذه الثورات العلم إلى درجة تغيير النظرة إلى العالم الذي تجري فيه هذه الأعمال العلمية.¹⁹

إنّ النظرية الجديدة التي تنبثق عن هذا التغيير الثوري، لم تكن أبداً مجرد نمو طبيعي لما كان معروفاً، إنّما تتطلب من أجل استيعابها إعادة بناء النظرية السابقة، بل ربما تركها كلية، وإعادة تقييم الوقائع والظواهر السابقة التي كانت مفسّرة طبقاً لمقولات النظرية السابقة. ويجب أن نفهم أنّ هذه العملية الثورية لا تُنجز من طرف عالم واحد إلا نادراً. ولا يتم ذلك بين يوم وليلة. من هنا، نفهم لماذا يجد المؤرّخون صعوبة في تحديد تواريخ دقيقة لهذه العملية الطويلة، لأنّ طريقتهم لإدراك التطور العلمي، عن طريق "التراكم"، تفرض عليهم اعتبار هذه الثورات حوادث معزولة.²⁰

3- الأهمية المنهجية لاستخدام البراديغم في البحوث العلمية:

يرى "كون" أنّ البراديغمات تكتسب مرتبتها لأنّها أكثر نجاحاً من منافساتها في حل مشكلات قليلة انتهت مجموعة من المشتغلين إلى الإقرار بكونها حادثة. وأن يكون البراديغم أكثر نجاحاً من سواه، ليس معنى ذلك أن يتحقّق نجاحاً بارزاً في حل عدد أكبر من المشكلات.²¹

بتركيز الانتباه على مجال من المشكلات الخاصّة نسبياً، يُلزم البراديغم العلماء بدرس جانب من جوانب الطبيعة بتفصيل وعمق لم يكن تصور حصولها بغيره، وللعلم العادي آلية في بنيتها تخفف قساوة الحدود التي تحصر البحث، وذلك عندما يتوقف البراديغم الذي استملت منه عن العمل بكفاءة، حينئذ يبدأ العلماء بالسلوك على نحو مختلف، كما تتغيّر طبيعة مشكلات بحثهم. في الوقت نفسه، وخلال فترة نجاح البراديغم، تكون المهنة قد حلّت مشكلات قلّما خطرت في بال العاملين فيها، وما كانوا لينجزوها إطلاقاً، من دون الالتزام بالبراديغم. وإنّ جزءاً من ذلك الإنجاز، على الأقل، أثبت قدرته على البقاء.²²

إنّ البراديغم يقدّم الأسئلة والحلول في نفس الوقت، وهذا يعني أنّ العلماء يشتغلون تحت مظلّته التي تقتضي جعل النظرية والتجربة في توافق محدد سلفاً، بفضل الجهاز المفهومي المتمثّل أساساً في المسلّمات والإجراءات التي ينخرط في استيعابها وكشفها العالم أثناء ممارسته لنشاطه العلمي، فالعالم لا يدرك العالم إلا من خلال البراديغم. لهذا يعمل هذا الأخير على إقصاء كل الوقائع التي لا تنسجم مع طبيعته. من ثمة يتخلّى عنها الباحث. ولا يهتم إلا بما يسمح به البراديغم. يقول "كون": «عادةً يكون البراديغم المطّور من أجل مجموعة من الظواهر غامضاً في تطبيقه على ظواهر قريبة جداً. عند ذلك تكون التحارب ضرورية للاختيار بين الطرائق البديلة لتطبيق الراديغم في المجال موضوع الاهتمام».

يحدِّد البراديغم العالم عند "كون" الذي يجب على العالم استكشافه. بمعنى أنه تأويل للعالم. هذا التأويل يضع شروطاً محدّدة لتأويله هو أيضاً. هذه الشروط هي حدود البراديغم الذي يفترض التأويل، وتأويل المعطيات، بالرغم من المشاكل التي قد تُطرح بخصوص الاختلافات بين العلماء في درجة تطبيقهم للقيم المشتركة كمحدّد أساسي للبراديغم، حيث كتب "كون": « يمكن أن نخدم الفروق الفردية في تطبيق القيم المشتركة وظائف أساسية بالنسبة للعلم».²³

ينشئ البراديغم قياساً أو تسوية جديدة في علم ما، ذلك بأن يضيف إليه العناصر المعترف بها في البحث العلمي. وتمثل هذه العناصر أساساً في: قانون، نظرية، وأدوات تجريبية، وهي تهيكّل مشكلة نماذج يُتخذى بها لتتولّد عنها تقاليد خاصة ومنسجمة من البحث العلمي.²⁴ إنّ البراديغم إنجاز قادر على أن يكون دليلاً لأبحاث المجموعة برّتها.

وفق "ميلفين ديفلر" (Melvin Defleur) و"ساندرا بول روكيتش" (Sandra Ball-Rokeach)، فإنّ الافتراضات التي تشكّل البراديغم، تعد بالفعل من الأمور المسلّم بها، بمعنى أنّ الافتراضات تتيح نقطة انطلاق لاستخلاص تفسيرات نظرية لجوانب أكثر دقة من الظاهرة الاجتماعية والنفسية. هذه المسلمات في حد ذاتها ليست عرضة للاختبار والتمحيص، فليس من الممكن جمع المعطيات والمادة التجريبية التي يمكن الاستناد إليها في قبول أو رفض الافتراضات المسلم بها. وبدلاً من ذلك، فإن هذه المسلمات تؤخذ كما هي ليس بمعنى أن يُنظر إليها كحقائق خالدة، ولكن فقط كافتراضات. بمعنى آخر، فإن المسلمات هي بيانات تحدّد العلاقات والظروف التي قد يختارها المرء لاعتبار شيء ما صحيحاً وحقيقياً، بهدف دعم حجته، وتقوية رأيه، أو بهدف رؤية ما ستقود إليه من الناحية المنطقية. والتسليم بصحة علاقة معينة، أو ظرف ما هو مثل أن نقول افتراض أنه صحيح أن العلاقة أو الظروف تصف الحقيقة بدقة.²⁵

في حين يرى "رولان أوميس" (Roland Omnis) مؤلف كتاب "فلسفة الكوانتم" البراديغم بأنّه: إنجاز علمي مميّز، أصبح أ نموذجاً جديراً بالمحاكاة من جانب باحثين آخرين».²⁶

4- نماذج من البراديغمات السائدة في علوم الإعلام والاتصال:

ارتبطت نشأة وتطور بحوث ودراسات الإعلام في العشرينات من القرن الماضي بالنموذجين الوضعي والسلوكي (positivist and behaviourist paradigm)، فقد استمدّ التخصص

الجديد الكثير من منطلقاته، ومفاهيمه، وأطره النظرية والمنهجية من هذين النموذجين. في هذا الإطار، ركزت بحوث الإعلام - وما تزال على تأثير وسائل الإعلام في الجمهور، اعتماداً على ما يُعرف بدراسات الجمهور، وأهملت إلى حدّ كبير دراسة مضمون وشكل الرسالة الإعلامية، التي يُفترض أنّها تحدث التأثير المطلوب أو المرغوب من وجهة نظر المرسل أو القائم بالاتصال، سواء كان شخصاً أو مؤسسة إعلامية.²⁷

رغم حداثة تخصص الإعلام والاتصال، إلا أنه مجال حيوي أنتج الباحثون فيه الكثير من الدراسات الإعلامية المتميّزة، تدريجياً بدأت تظهر محاولات لبورة نظريات في هذا المجال لتأطير مختلف الأبحاث والدراسات. وحسب "عبد الرحمن عزي"، فالمقصود بنظريات الإعلام والاتصال هي تلك النظريات التي تتناول علاقة وسائل الإعلام بظاهرة ما (الإعلام)، أو علاقة أفراد المجتمع مع بعضهم البعض (الاتصال).²⁸

إنّ أهم البراديجمات المتاحة لعلماء الاتصال تشمل فئة مستمدة أصلاً من علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم النفس الاجتماعي، وفي داخل هذه المجالات، هناك فئات عديدة من المسلّمات التي تشكّلت فيما يتعلق بطبيعة المجتمع والطبيعة الإنسانية. بالنسبة لعلم الاجتماع، نجد أنّ الافتراضات الثلاثة التي أعطت أهمية قصوى لدراسة العلاقات بين وسائل الإعلام والمجتمع وعملية الإعلام، هي نفسها التي تعطي دوراً محورياً لكل من:²⁹

- العمليات التي يحافظ بها المجتمع على الاستقرار الاجتماعي.

- العمليات التي يتغير بها المجتمع بمرور الزمن.

- طبيعة ومغزى الصراع الاجتماعي.

- أشكال التفاعلات بين الأشخاص، والتي يتم من خلالها مشاركة المعاني.

إنّ الاصطلاحات الأكثر فنية المرتبطة بهذه البراديجمات هي: البنائية الوظيفية، التطور الاجتماعي، الصراع الاجتماعي، والتفاعلية الرمزية.

وإذا كان محور الاهتمام في علم الاتصال هو سلوك الفرد، مثل الاختيار أو الفهم أو التأثير بالرسائل الإعلامية، عندئذٍ يستخدم بوجه عام أحد النماذج النفسية، وهناك العديد منها التي يمكن

اختيارها، تتراوح بين نظريات التعلم السلوكية، والصيغ التحليلية النفسية. وبوجه عام، فإن أكثر الصيغ التحليلية النفسية شيوعاً واستخداماً في أبحاث الاتصال هي النموذج الإدراكي، الذي يؤكد على مفاهيم مثل المواقف والمعتقدات والمفاهيم والاحتياجات والإشباع.

ويذهب الباحثان "ألان لارامي" (Alain Larameé) و"برنارد فالي" (Bernard Vallée)، في كتابهما "البحث في الاتصال عناصر منهجية"، إلى ذكر أربع براديجمات، باعتبارها مهيمنة في بحوث الإعلام والاتصال، لكنها ليست حصرية، وهي: البراديجم السيبرنيطيقي، البراديجم السلوكي، البراديجم الوظيفي، البراديجم التفسيري.

إننا لا نهدف من خلال عرض عينة من البراديجمات المستخدمة في علوم الإعلام والاتصال، إلى اعتبارها الأكثر أهمية من أخرى لم نذكرها. ولكن الهدف هو تبيان أهمية البراديجم في البحوث الإعلامية. مع توضيح الزاوية التي يمكن من خلالها دراسة ظاهرة إعلامية أو اتصالية في إطار براديجم محدد، أو نظرية ضمن براديجم ما. وفيما يلي عرض لعينة من البراديجمات المستخدمة في علوم الإعلام والاتصال:

1-4 البراديجم السلوكي:

ظهرت الاتجاهات السلوكية في علم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية، في العقد الثاني من القرن العشرين، وسادت في علم النفس لمدة تزيد عن ثلاثين سنة تقريباً. اهتم السلوكيون الأوائل بدراسة الأحداث البيئية كمثيرات في علاقتها بالسلوك، ولاحظوا أن التعلم يكون من خلال الخبرة المكتسبة، الناتجة عن التعرض للمثيرات البيئية وتعزيزها، أكثر من تأثير العوامل الوراثية.

تركز الدراسات السلوكية على الظواهر السلوكية الخارجية التي يمكن ملاحظتها، وعلى دراسة المنبهات التي تستثير أشكالاً معينة من الاستجابات التي تأخذ شكلاً صريحاً يمكن ملاحظته. وبذلك، فهي لا تنفق كثيراً بالشروح والافتراضات المتعلقة بالفكر والمعتقدات، ومختلف العمليات العقلية الداخلية التي لا يمكن ملاحظتها.³⁰

خضعت هذه الدراسات للتطوير فيما بعد من خلال جهود علماء النفس وعلم النفس الاجتماعي. وأصبحت تعرف بنظريات المثير والاستجابة أو نظريات التعلم، تهم جميعها بالسلوك الفردي في علاقتها بالمثيرات الخارجية والتركيز على أن هذا السلوك هو عصبي متعلم في البداية.³¹

تزامن ظهور هذه الدراسات ببروز نظرية المجتمع الجماهيري التي تفترض:³²

- أن الأفراد يعيشون شروط عزلة نفسية تجاه الآخرين.
- أن اللاشخصانية تسود العلاقات المتبادلة بين هؤلاء الأفراد.
- أن أولئك الأفراد قد تحرروا نسبيا من الأواصر والواجبات الاجتماعية غير الشكلانية، التي كانت تلزمهم وتقيدهم.

كان لهذا المدخل تأثير واضح في بحوث الإعلام، حيث ساعد على بلورة نظرية التأثير المباشر التي سادت لفترة طويلة حتى نهاية الأربعينيات من القرن الماضي تقريبا. حيث تفترض أن الرسائل الإعلامية مشيرات تصدرها وسائل الإعلام، ويتلقاها الأفراد باعتبارهم عناصر منعزلة وسلبية، فيستجيبون لها بشكل فوري، عرفت هذه النظرية باسم الطلقة السحرية أو الحقنة تحت الجلد.

رغم تراجع استخدام هذا البراديعم في الدراسات الإعلامية الحالية، إلا أنه استُخدم بشكل واسع في دراسة الدعاية خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وفترة الحرب نفسها. فتكرار عرض الرسائل وعزل الفرد عن التعرض لأي مصادر إعلامية أخرى، يؤيِّق وفق فرضيات نظرية التأثير المباشر إلى إحداث الاستجابة التي يرغب فيها القائم بالاتصال. نفس الأمر بالنسبة للدول لسلطوية التي تسيطر بشكل تام على وسائل الإعلام، وتمنع أي مصادر أخرى سواء عن طريق الرقابة أو التشويش أو المنع التام. وهو ما ينطبق على دولة كوريا الشمالية كمثال.

إن نظرية التأثير المباشر أو الحقنة تحت الجلد كانت منسجمة تماما مع النظرية العامة سواء السوسولوجية أو السيكلوجية التي تمت صاغتها آنذاك. هذا بالإضافة إلى أن التأثير الهائل الذي مارسه الدعاية إبان الحرب العالمية الأولى، شكّل البرهان الكافي لمقدرة الإعلام الجماهيري. وكانت هناك أيضا حقيقة أخرى غير قابلة للنقاش ظاهريا، وهي أن الإعلانات الجماهيرية لذلك العصر، أثبتت أن الإعلام يستطيع إقناع الناس بشراء سلع بكميات ونوعيات لم يكن أحد يقدر على تخيّلها في ذلك الوقت. مما قوى القناعة بأن الإعلام الجماهيري يتمتع بمقدرة استثنائية.³³

إن بحوث الإعلام التي ظهرت في تلك الفترة، والمتأثرة بنظرية التعلم في علم النفس، ونظرية المجتمع الجماهيري في علم الاجتماع، وكذا نظرية الرصاص السحرية في الإعلام، ركزت في دراسة استجابات جمهور وسائل الإعلام على الخصائص الموروثة مثل النوع، وتأثير الخبرات المكتسبة بفضل

السن والتعلم والحالة الاقتصادية. وأصبحت هذه الخصائص هي القاسم المشترك في تصنيف الجمهور في علاقته بالتعرض لوسائل الإعلام أو تأثره بها. هذه الخصائص والسمات التي يطلق عليها السمات الأولية أو السكانية أو العامة، يرى الباحثون أنّها تسهم، مع غيرها من السمات، في تشكيل خبرات الفرد ومواقفه، وتؤثر في كل من بناء الشخصية ونماذج السلوك.³⁴ وقد شهدت بحوث الإعلام اهتماماً كبيراً بهذه السمات العامة في علاقتها بأنماط السلوك مع وسائل الإعلام ومحتواها، نتيجة لكون هذه السمات تساعد على تفسير التباين في استخدامها، وبالتالي معرفة أنواع الجمهور الذي يميل إلى وسيلة معينة و إلى محتوى معين، في أوقات مختلفة و في وضعيات اتصالية مختلفة، مما سمح أيضاً بتطور دراسات جمهور وسائل.³⁵

2-4 البرادغيم السيبرنيطيقي:

إنّ مفهوم السيبرنيطيقا (Cybernetics) يعني التحكم والضببط، استناداً إلى المعنى اللغوي اللاتيني للمصطلح، والذي يعود إلى (kubernetike)، وهو المصطلح الذي أطلقه "أفلاطون" على موجه السفينة، والسيبرنيطيقا تقوم على التغذية المرتدة من خلال متابعة وضع ما خلال فترات زمنية معينة لتحديد الوضع اللاحق، أي أنّها تقوم أساساً على المعلومة.³⁶

أحدث ظهور السيبرنيطيقا ثورة علمية خاصة في ميدان التكنولوجيا، ويعود الفضل في وضع أسس السيبرنيطيقا إلى عالم الرياضيات الأمريكي "نوربرت وينر" (Norbert Wiener) (1894-1964) لحلّ مشكلة عسكرية خلال الحرب العالمية الثانية.³⁷

نشر "وينر" كتابه "السيبرنيطيقا أو التحكم والاتصال عند الحيوان والآلة"، خلال الأربعينيات من القرن الماضي، وقد ضمّنه رؤيته لمسألة التنظيم داخل المجتمع المستقبلي، القائمة على مادة أولية جيدة ستظهر قريباً وتمثل، حسب رأيه، في "المعلومة". وبالرغم من أنه دعا إلى أخلاقية هذا النموذج الأعلى لـ "مجتمع المعلومات"، إلا أنه حذر في نفس الوقت من مخاطر الانحرافات التي قد يحملها. يقول "وينر": «إنّ مجموع المعلومات في نظام ما، هو مقياس درجة تنظيمه، والتدهور هو مقياس درجة فوضويته، حيث أنّ كل منهما يمثل الوجه السلبي للآخر».³⁸

إنّ قيام مجتمع المعلومات مشروط بالقدرة على تدوير المعلومات، وتبادلها دون معوقات. فهي مناقضة، من حيث المبدأ والتعريف، للحصار وممارسة السرية، وعدم المساواة في الوصول إلى المعلومات،

وتحويل هذه الأخيرة إلى سلعة. ذلك أن اتساع دائرة التدهور والتراجع مرتبط، مباشرة وتناسيباً، بتراجع التقدم. ولم يتردد "وينر" تحت ضغط الهمجية التي شكلتها الحرب العامة الثانية، في فضح مخاطر التدهور، موجهاً نقداً راديكالياً لـ "العوامل المناقضة للانضباط الذاتي"، والمتمثلة في التحكم المفرط في وسائل الإعلام. لأن هذا النظام، الذي يجب أن يساهم، أكثر من أي شيء آخر، في الانضباط الاجتماعي الذاتي، سقط حسب رأيه، مباشرة في أيدي أولئك المهوسين بالسلطة والمال.³⁹

ما يطرحه "وينر"، انطلاقاً من قضية النزعة الشمولية، هو مقدمات برنامج بحوث أوسع حول أجهزة السلطة: فهذه قابلة للتحليل باصطلاحات المعلومة والتواصل والتحكم، لأنّ التمثلات هي ما به تشيّد التنظيمات، والناس موضوع تحكم هذه التنظيمات، وتُحافظ على نفسها وتعيد إنتاج نفسها. ويعني نجه أن الأسس الإعلامية للنظم الاجتماعية هي قابلة للتوضيح في مستوى كافٍ من العمومية لفهم العلاقة الجدلية القائمة بين التمثّل والتنظيم، كما من شأن تلك الأسس الإعلامية تخريب الانخراط بما يحكيه نظام ما عن نفسه.⁴⁰

إنّ السبب الرئيسي (وهناك أسباب أخرى) "للإبعاد" المؤسسي للسيبرنيطيقا، يعود قبل كل شيء إلى أنّ مقارنة وينر تفضي بشكل طبيعي إلى مسألة السلطة. فتصوره للتحكم له شحنة سياسية بارزة، ويسلط الضوء جزئياً على عدم التكافؤ بين "صانعي القرار" و"المنفذين" مستوعباً إياه من زاوية التخصص الإعلامي والهوياتي وهو يُنسب عدم التكافؤ ويظهر أنّه نتيجة ترتيب معين لمعالجة المعلومة وأنّه يجب تكييف هذا الجهاز بنشاط لكي يبقى في الزمن. ويشير إلى أنّ هذا التفاوت لا يشكل سوى شكل تنظيمي بين أشكال أخرى ممكنة، ومن ثمة فهو يفتح حقلاً جديداً للبحث عن بدائل تنظيمية.⁴¹

3-4 البراديغم الوظيفي:

يعد هذا البراديغم خلفية لكثير من النظريات المتعلقة بالسير العام للمجتمع، ومسلّمته الأساسية هي النظر إلى المجتمع على أنّه كل تنظيمي، تفسّر مختلف عناصره بالوظيفة التي تؤديها. يهتم هذا البراديغم بالطريقة التي تؤثر بها بعض الظواهر في سير النظام الاجتماعي. ويشكّل الاتصال الجماهيري إحدى الظواهر الملائمة للتحليل الوظيفي.⁴²

يعرف النموذج الإرشادي للبنائية الوظيفية بالنموذج المحافظ، لحرصه على مراعاة التوازن بين مكونات النظام الاجتماعي ومعارضته للتغيير. ويركز التحليل الوظيفي على توضيح المهام التي يسعى القائم بالاتصال إلى تحقيقها، والنتائج التي تحدث دون أن يهدف إليها. ويسعى في المستوى الأول إلى قياس تأثيرات عملية الاتصال بشكل عام كعملية اجتماعية، وعلى مستوى ثان يدرس وسيلة إعلامية أو أكثر، وفي المستوى الثالث يقوم بتحليل وسيلة الاتصال كمؤسسة، أما المستوى الرابع فيدرس أوجه النشاط الإعلامية الأساسية التي تتم بواسطة الإعلام.⁴³

إن تيار الوظيفية السوسولوجية، كان محاولة لإعادة النظر في نظرية "الاسويل" (Lasswell) ، التي تنظر إلى الاتصال كنقطة بدء ونقطة نهاية، ففرض هذا التيار المبدأ الآلي حول التأثير المباشر غير المكيف حسب الوضعيات، متوقفا عند المتغيرات الوسيطة، بين نقطة البدء ونقطة النهاية. إن المقاربات التي يتيحها البراديجم الوظيفي عديدة، منها:

4-3-1 نظرية الاستخدامات والإشباعات: تبحث في الإشباعات التي تحققها وسائل الإعلام للجمهور، أي أن الجمهور ينتقي وسيلة إعلامية معينة بناء على حاجات يريد إشباعها. في هذا السياق، أصبح السؤال المطروح في البحوث الإعلامية: ما الذي يفعله الجمهور بوسائل الإعلام؟ بدل ما الذي تفعله وسائل الإعلام بالجمهور؟ الذي كان سائدا في نظريات التأثير المباشر.

عق تيار الاستخدامات والإشباعات في الثمانينيات من القرن الماضي، مفهومه الخاص للقراءة المتفاوض عليها: المعنى والتأثيرات تولد من تفاعل النصوص والأدوار التي يضطلع بها الجمهور. وإن فك الرموز يرتبط بمدى مشاركة الجمهور في عملية الاتصال. وترتبط المشاركة ذاتها بالطريقة التي تبني بها مختلف الثقافات دور المتلقي. لقد شكل المسلسل التلفزيوني دالاس Dallas موضوعا يسمح بالتحري عن هذه الفرضيات. وقد أشرف الأستاذان "تامار ليباس" (Tamar Liebes) و"إيليهو كاتز" (Elihu Katz) على فريق بحث لإجراء مجموعة من البحوث الميدانية، لتحليل القراءات المنفردة التي تقوم بها المجموعات الخاصة داخل الثقافات المختلفة لهذا المسلسل، الذي تبثه كل القنوات التلفزيونية في العالم.⁴⁴

4-3-2 نظرية ترتيب الأولويات والتي مفادها أنه أثناء عملية صناعة الأخبار، قد تقوم وسائل الإعلام باختيار بعض القضايا من بين الكم الهائل لها، في الوقت الذي لا تكتسي فيه أهمية في أذهان

الجمهور، وتصبح هذه القضايا مع مرور الوقت، والتأكيد عليها، وتكرارها، مهمة في أذهانه.⁴⁵ هذا ما جعل "كوهين" (Cohen) يصحح بما يمكن اعتباره أصل الصياغة في نظرية الأجنحة، دون أن يسميها بذلك: «بينما وسائل الإعلام لا تقول لنا كيف يجب أن نفكر، فإنها تكون ناجحة بصفة مذهلة في تحديد ما نفكر حوله، وما الذي ينبغي أن نعرفه وأن نشعر به».⁴⁶

5-4 البراديعم النقدي:

ترجع جذور الدراسات النقدية في بحوث وسائل الإعلام إلى ألمانيا في إطار " مدرسة فرانكفورت"، التي دشنت دراسات الاتصال النقدية في الثلاثينيات من القرن الماضي، والتي اكتسبت هذه التسمية لمعارضتها للتيار الأمريكي، أسست سنة 1923 من طرف "ماكس هوركهايمر" (Max Horkheimer)، و"فريدريك بولوك" (Freidrich Pollock)، و"تيودور أدورنو" (Teodor Adorno)، و"التر بنجامين" (Walter Benjamen)، و"هربرت ماركيوز" (Herbert Marcuse) المتأثرين بالنظرية الماركسية؛ حيث ركزت تحليلاتكم على العلاقة بين وسائل الإعلام والثقافة، من خلال مقال لـ "هوركهايمر وأدورنو" (Horkheimer and Adorno) سنة 1947 بعنوان: "الإنتاج الصناعي للمضامين الثقافية".⁴⁷

يُحسب للنظرية ذات الجذور والأصول الهيغلية فيما يتعلق بالنظرية إلى العقل ومفهوم الجدلية، وأيضاً الماركسية المؤسسة لمفهوم الهيمنة في علاقتها بالثروة، ربط الصلة الوثيقة بين العلوم الاجتماعية والفلسفة، وتشمل هذه النظريات النقدية اتجاهين أساسيين هما: اتجاه مدرسة فرانكفورت والنظرية الثقافية النقدية، وأيضاً اتجاه نظرية الاقتصاد السياسي، مع العلم أن الخيط المنظم لهذين الاتجاهين، ينهل من المنطلقات الاجتماعية والفلسفة نفسها، ويستند إلى المسوغات الأساسية للنظريات النقدية.⁴⁸

لقد تعامل رواد فرانكفورت: "هوركهايمر"، و"هابرماس"، و"ماركيوز"، و"أدورنو"، و"آبل"، و"بنيامين"، مع الصيغ الاجتماعية من منطلقات واحدة في التفكير، واختلفوا في تحديد النتائج، وتأثرى هذا الاختلاف من طبيعة النهج المعرفي لكل منهم في وضع أسباب ونتائج الوضع الاجتماعي الحالي، فضلاً عن اجتهادهم في تقديم مقترحات مستقبلية للوضع ما بعد الاجتماعي. ويمكن تحديد أهم المعطيات النقدية لمدرسة فرانكفورت التي استطاعوا من خلالها مجابهة الأطروحات النقدية لما بعد البنيوية، وخلق منظومة التفكيك، كالأتي:

- نقد العقل الأداتي.
- نظرية الفعل التواصلي.
- النظرية الاجتماعية في نقد الأيديولوجيا.

أطلق على أطروحات مدرسة فرانكفورت : النظرية النقدية (Critical Theory) التي تتسم من جملة ما تمتاز به بالتركيز على تشريح الأنظمة الاجتماعية، وتحليل العناصر المكونة للتوجه الاجتماعي، وتحديد العلاقة بين الاجتماعي والاقتصادي والأيديولوجي، وبيان تركيب المنظومة الاجتماعية المؤثرة على سلوك الفرد وحركته في المجتمع، في ظل أزماته النفسية، وآفاقه الممتدة المهددة بسيادة الآلة على مجمل نشاط الفرد، فضلاً عن الكشف عن دور الأقليات في النشاط الاقتصادي للمجتمع، وأهمية تلك الأقليات في خلق بُؤر للأزمات المتصاعدة في حركته نظراً لما تعانيه من نقص تجاهها، محاولة تعويض ذلك النقص بالأزمة، وهذا التوجه يفسر أهمية كون رواد مدرسة فرانكفورت جميعهم من اليهود الألمان⁴⁹.

ويمكن إجمالاً تحديد أهم الخصائص التي امتازت بها مدرسة فرانكفورت بالآتي:⁵⁰

- تُوجه النظرية النقدية سلوك الإنسان وأفعاله، وترى توجهها نقداً فحاصاً لأيديولوجيا المجتمع الغربي وتعريه لها.
- تختلف النظرية النقدية عن نظرية العلوم الطبيعية، بكون الأخيرة ذات صبغة موضوعية، أما الأولى فذات صبغة تأملية انعكاسية لسلوكيات المجتمع، وتوجهاته، والسعي نحو نقدها.
- البحث عن الحقيقة عن طريق استخدام النقد، والحقيقة ليست سابقة على النقد، إنما هي إفراز للنقد ذاته، وحتى يتم الوصول إلى الحقيقة، على النقد أن يُحطم أولاً الأوهام والمظاهر الخادعة.
- تشترك النظرية النقدية مع نظريات ما بعد الحداثة في مسارٍ ووحيد هو: نقد سبيل الحداثة في العقلنة بأشكالها: الاجتماعية، والفلسفية، والتحليل الثقافي، والاهتمامات السياسية.
- الاتفاق على أهمية المحور الإنساني في العملية البنائية التاريخية للمجتمعات البشرية.
- نقد الرؤية الهيجيلية والماركسية، وتقديم رؤى جديدة تنطلق من أطروحاتهما، لاسيما في مسألة الصراع والوعي الطبقي، إذ تؤكد النظرية النقدية غياب الوعي الطبقي في المجتمعات الرأسمالية.

- رصد أزمات المجتمع الرأسمالي، ومحاولة توجيه ضربات نقدية متتابعة، لبيان تحيّزاته وممارساته السلطوية.

لقد درست السوسيولوجيا الوظيفية وسائل الإعلام باعتبارها أدوات جديدة للديمقراطية الجديدة، وآليات مركزية في تنظيم المجتمع. وأقامت في هذا السياق، نظرية تعطي الأولوية لمسألة إعادة إنتاج القيم المجتمعية للنظام، أي الأوضاع الاجتماعية القائمة.⁵¹ وعلى عكس هذه الرؤية، فإنّ النظريات النقدية ترى أنّ وظيفة وسائل الإعلام هي مساعدة أصحاب السلطة في المجتمع على فرض نفوذهم، والعمل على دعم الوضع القائم، لذلك كانت دراساتهم النقدية للأوضاع الإعلامية وانتشار "الثقافة الجماهيرية" بديلاً عن الثقافة "الراقية" أو "الرفيعة" التي ترتقي بأذواق الجماهير، لوضع تفسيرات خاصة بانتشار صور المحتوى الذي تنشره وسائل الإعلام للترويج لمصالح الفئات أو الطبقات المسيطرة على المجتمع.⁵²

وكانت الثقافة الجماهيرية محل نقد في الأدبيات الغربية يتعلق بعملها في المجالات التالية:⁵³

- ترسيخ قيم الامتثالية، إذ تعمل هذه الثقافة على إنتاج نمط من الإنسان الذي يؤدي دوره في المجتمع بصفة ساكنة.
- القضاء على التنوع الثقافي في المجتمع.
- إنشاء مجتمع استهلاكي بترويج بضائع مرتبطة بالإنتاج الاحتكاري المربح... الخ.

6-4 البراديجم التفسيري:

تحاول النظريات التفسيرية شرح الأفعال من خلال معانيها، وتأخذ هذه النظريات أشكالاً متنوعة. فالكثير من النظريات التفسيرية تهتم بالرسائل أو النصوص، وتحاول بعضها تحديد ما الذي يعنيه القائمون بالاتصال بأحاديثهم أو مقالاتهم، أو ما يقومون به من أشكال تعبيرية، ومن أبرز الاتجاهات الفكرية في النظريات التفسيرية الاتجاه الظاهراتي الذي يدرس المعرفة التي تنشأ وتظهر في الخبرة الواعية. والاتجاه التأويلي الذي يهتم بالتفسير النصي للتعبير الإنساني.⁵⁴ ومن أبرز نظريات هذا البراديجم:

4-6-1 الظاهراتية: الفينومينولوجيا أو الظاهراتية هي مدرسة فلسفية تركز على الخبرة

الحسية للظواهر، ثم الانطلاق نحو تحليل الظاهرة سعياً إلى فهم أعمق لوجود الإنسان والعالم. ملخص أفكار هذه المدرسة هي أنّها تهتم بالوعي الإنساني باعتباره الطريق الموصل إلى فهم الحقائق الاجتماعية، وخاصة بالطريقة التي يفكر بها الإنسان في الخبرة التي يعيشها، أي كيف يشعر الإنسان بوعيه.

حاولت الفينومينولوجيا التي نشأت سنة 1901 مع هوسرل (Husserl)، أن تتأمل العالم قبل أن تغيّره. لذلك، ويرفضها لأنساق الماضي، فهي تقترح إلقاء نظرة جديدة على الأشياء، متفطنة إلى أسلوب ظهورها، ومبديّة عناية أكبر بتعددتها. فهل نجحت في مشروعها؟ يبدو أنه من المبكر الحكم على ذلك. لكن تظل هناك قناعة أو يقين راسخ يتمثل في: أن حيوية الفينومينولوجيا لا يمكن التشكيك فيها اليوم.⁵⁵

إن بروز الظاهرية الاجتماعية كان نتاج تقلص مصداقية الاتجاهات التقليدية. إنها توفر ميدانا ثريا لنقد علم الاجتماع الوضعي الذي يقبل بسذاجة، ويتخذ العلوم الطبيعية نموذجا للعلوم الإنسانية. وفي معظم الحالات، فإن البحث الاجتماعي يقام وكأن جل المسائل والمشاكل المنهجية الأساسية قد تم تجاوزها بصفة مرضية. في المقابل، فالظاهرية تعتبر ان المنهجية في حد ذاتها لا بد أن تعالج كإشكالية.⁵⁶

إن الفينومينولوجيا تمتلك تاريخا متشابكا يحتل فيه مؤسسها "هوسرل" مكانة مركزية، ويعكس صورتها الشائكة التي ترتبط في جزء كبير منها بوجودها ما بعد الحرب العالمية. لكن ومع ذلك، فليست وضعيتها الراهنة مثالية. ويخطئ الفينومينولوجيون إن ظنوا في ظل الغليان الحالي، أنهم فازوا بالمعركة مقدما. هناك العديد من الورشات التي تنتظرهم، وتساؤلات كبيرة تحيّرهم: الأسبقية الذاتية لليقين، عودة المكبوت الميتافيزيقي، صعوبة بناء نظرية اجتماعية وسياسية.⁵⁷

4-6-2 التفاعلية الرمزية: تركز على التفاعل الذي يعني وقوع فعل بين فردين، ومحاولة فهم هذه العملية، من خلال تفسير المعاني التي يعطيها الأفراد لأفعالهم. ويهتم هذا النموذج باللغة والرموز والمعاني المستخدمة في عمليات التفاعل، ويستخدم مجموعة من المفاهيم كالدور، والذات، والفعل الاجتماعي والأنظمة الاجتماعية، وبناء المعنى، والتفاوض بين الأفراد والجماعات المتنافسة في المجتمع لتحسين أوضاعها.⁵⁸

يَعرف المعنى على أنه المحصلة الذهنية والقصد المستهدف من أي تعبير لغوي أو لفظي كما قد يكون غير لفظي، حيث ينتج عنه دلالة التعبير التي قد يصاحبها تلوينات في الصوت أو إشارات أو إيماءات، كما يتكون معنى الجملة من تداخل وتفاعل معاني مكوناتها، وهناك المعنى الأول الذي مدلول الألفاظ والتراكيب والمدلول الثاني خاص بالإغراض التي يُساق فيها الكلام.⁵⁹

ترتبط المعاني مباشرة باللغة، التي من خلالها يعبر الفرد عما بداخله من أفكار ويؤدها بمعاني ، وعليه فهو يتصرف حيال العالم الخارجي بناءً على ما يحمله من معانٍ، وهذه البنية المعرفية الداخلية هي المسؤولة عن إعطاء تعريفات لتصرفاته وسلوكاته في مواقف معينة، وهذه الخلفية النظرية وظفها علماء الإعلام في تفسير تأثير وسائل الإعلام في تشكيل معتقدات الفرد عن عالمه الحقيقي، بتدخلها في ترتيب المعاني الداخلية له في شكل جدول أعمال للموضوعات التي يفكر فيها ووضعها في تسلسل هرمي حسب أهميتها أو لهدف محدد.⁶⁰

5- استخدام البراديجم في بحوث الإعلام والاتصال:

قبل إعطاء أمثلة حول توظيف البراديجم في بحوث الإعلام والاتصال، تجدر الإشارة أولاً إلى أنّ هناك أسباب عديدة تقف وراء إحصام العديد من الباحثين عن تبني البراديجم كموجه لبحوثهم، رغم أنّ طبيعة دراستهم تتماشى وفق أطروحات وفرضيات براديجم ما، كان يمكن بتبنيه من البداية اختصار الكثير من الوقت والجهد.

إنّ الاعتقاد بصعوبة توظيف براديجم معين أثناء إجراء بحث علمي سواء على مستوى الماستر أو الماجستير أو الدكتوراه، يعود في مجمله إلى الأسباب التالية⁶¹:

- إنّ الفكرة السائدة لدى الكثير من طلبة علوم الإعلام والاتصال، حول هذا التخصص، كونه تخصص تطبيقي، يتمحور حول تعلم كيفية تحرير الأخبار، وتقديمها، وأساليب إعداد الروبورتاج، وطريقة تنشيط الحصص التلفزيونية... الخ، تجعلهم يقللون من أهمية المقاييس الفكرية التي يدرسونها، والتي لا يدركون أهميتها إلا أثناء إعداد مذكرات التخرج أو رسائل الماجستير أو الدكتوراه.
- عدم إلمام الطلبة بالمادة العلمية المتعلقة بالبراديجمات، وقد تتوفر للطلاب فكرة عن هذا البراديجم أو ذاك، لكن ليس بالكم الكافي الذي يسمح له بأن يتحكّم في كيفية الاستفادة منه، وطريقة توظيفه في البحث.
- عدم إدراك الطالب لكيفية توظيف البراديجم في بحثه، رغم أنه قد يكون ملماً به بشكل جيد، فنجدّه يشير في بداية الدراسة إلى البراديجم الذي تبنّاه كموجه لدراسته، لكن لا نجد له أثراً في باقي أجزاء البحث، أو أثناء عرض نتائج الدراسة.

- يعتقد بعض الطلبة أن توظيف البراديغم في البحث العلمي يستهلك جهداً أكبر، ويحتاج إلى وقت أطول. فيتحججون بضيق الوقت، والآجال المحددة لإيداع الأعمال. كل هذه الأفكار والأحكام المسبقة، يمكن تجاوزها تدريجياً، إذا ما أدركنا أهمية البراديغم في توجيه البحث العلمي، والقيمة المضافة التي يضيفها على نتائج الدراسة. وهناك العديد من الأطر النظرية التي يمكن أن يستفيد منها الباحثون، ويستعينون بها في شرح وتفسير عناصر دراستهم الإعلامية. وفيما يلي أمثلة حول توظيف بعض الأطر النظرية في الدراسات الإعلامية:

في مجال الاتصال التنظيمي في علوم الاتصال، استعار الباحثون من السيبرنيطيقا مفاهيم نظرية، كمفهوم مسار المعلومة ومفهوم التحكم. يسمح البراديغم السيبرنيطقي باعتبار التنظيم كشبكة اتصال تعبر من خلال مختلف العقد. فيمكن متابعة المرور التدريجي للمعلومة من خلال هذه العقد، من أجل تقييم كيفية تأثير الشبكة على الإنجازية، المردودية والرضى في الجماعة. بهذه الطريقة تسمح المعلومة المحصلة بتقليص نسبة الشك. وذلك بزيادة التحكم، بل وحتى المعالجة في التنظيمات.⁶²

في حين تسمح المقاربة الوظيفية بفحص التركيب والوظيفة للذين يشكلان التنظيمات، وكذلك الدينامية في العلاقات التي لها شكل بين أعضاء هذه المنظمات. وإذا أردنا دراسة بنى وسائل الإعلام نعلم البراديغم السائد في هذا النوع من الدراسات، لأننا حين نقوم بالاتصال نقوم به بواسطة كيان منظم، أي له وظائف ووسائل وأهداف.⁶³ فمثلاً إذا أردت دراسة تأثير قناة تلفزيونية على الجمهور، ولتكن مثلاً قناة الشروق الإخبارية، فهنا أدرس بنيتها كمؤسسة أي مما تتكون؟ ومن ثمّ دراسة أهدافها ووظائفها.

ولنأخذ مثلاً آخر عن دراسة تتناول دوافع قراءة صفحات الحوادث مثلاً، يمكن لهذه الدراسة أن تستعين بالإطار النظري الخاص بالاستخدامات والإشباع، حيث تتعدّد الرؤى النظرية داخل هذا الإطار التي ترصد أنواعاً مختلفة من الإشباع منها المعرفية، ومنها الوجدانية، ومنها إشباع خاصة بالتسلية وتمضية الوقت.⁶⁴ وهكذا يمكن للدراسة أن تنطلق من هذا المدخل النظري لتفسير السلوكيات الاتصالية لأفراد الجمهور في مجال تعرضهم لمادة الحوادث في الصحف، عن طريق رصد الإشباع التي تحققها هذه المضامين النوعية.

إن الرسائل الإعلامية لا تؤثر إلا إذا كان الجمهور مستقبلاً لها (مثال: الإعراض عن الإعلام الرسمي، والتطلع على الإعلام الخاص: مثلاً متابعة أحداث الثورات العربية من خلال قناة الجزيرة أو العربية). كما التفت هذا التيار إلى دراسات الجمهور، والتوقعات الخاصة بالحاجات التي يصبو إليها (تركيز الرسائل الإعلامية في تناولها لموضوع الثورات العربية على الحريات، حقوق الإنسان، محاربة الفساد).

أما المدرسة النقدية، فتهتم في بحوثها حول الإعلام والاتصال ببعض التساؤلات التي ينبغي الإجابة عنها من أجل فهم الظاهرة الاتصالية في المجتمعات الغربية. وأهم هذه التساؤلات:⁶⁵

- من يتحكم في الاتصال؟
- لماذا؟
- لصالح من؟

انطلاقاً من هذه التساؤلات، اتجهت جهود الباحثين إلى محاولة معرفة الحقائق الخفية وراء هذا النظام المهيمن، الذي يعمل ويتحرك عن طريق التستّر (Dissimulation)، وهو ما جعل الباحثين يؤكدون على السياق الذي يعمل فيه الاتصال.. إن إغفال السياق في نظرهم يغير حقيقة العملية الاتصالية. وتمتد خصائص هذا المجتمع إلى وسائل الاتصال التي تتصف بالاحتكار ونشر دراما اتصالية في شكل ثقافة جماهيرية تسعى إلى توفير القاسم المشترك من الأذواق والأفكار وسط واقع شاسع من التشتت في مجال الاتصال.

وإذا أسقطنا افتراضات التفاعلية الرمزية على وسائل الإعلام، نجد أن وسائل الإعلام تمثل جزءاً مركزياً من عمليات الاتصال في المجتمعات الحديثة، فهي تقدم بالصورة والكلمة تفسيرات للواقع الذي يضيء عليه من يتلقون الرسالة الإعلامية صبغة ذاتية. والناس يمكن أن تقيم أبنية ذاتية ومشتركة لمعنى الواقع المادي والاجتماعي الذي يعيشونه من خلال ما يقرؤونه أو يسمعون أو يشاهدونه. من ثم، فإن سلوكهم الشخصي والاجتماعي يمكن أن يتحدد جزئياً من خلال التفسيرات التي تقدمها وسائل الإعلام للأحداث الاجتماعية والقضايا التي لا توجد مصادر معلومات بديلة عنها. وهذا هو أحد أعقد وأهم النماذج المستخدمة في أبحاث الاتصال. وهو ضروري لفهم التأثيرات غير المباشرة والبعيدة المدى للإعلام سواء بالنسبة للأفراد أو المجتمع ككل.⁶⁶

كذلك يمكننا أن نقدم مثالا آخر عن توظيف الإطار النظري في دراسات الجمهور، فلنفترض أنّ هناك باحثا يدرس دور نشرات الأخبار في التلفزيون، في تعريف الجمهور بقضايا وأحداث البيئة المحيطة به، يمكن للباحث في هذه الدراسة أن يستعين بالإطار النظري الخاص بنظرية الفجوة المعرفية، والتي تنطلق من فرضية عامة مفادها أنه مع التدفق الهائل للمعارف والمعلومات في مجال تدفق المعلومات والمعارف عبر وسائل الإعلام، فإنّ الفئات ذات المستوى التعليمي الأعلى، وذات المستوى الاقتصادي والاجتماعي الأعلى كذلك، ستقوم بتحصيل المعارف بصورة أكبر، وبشكل أسرع عن غيرها، مما يؤدي إلى حدوث فجوات في المجتمع.⁶⁷ وقّم العديد من الباحثين بعد ذلك إضافات لهذا المدخل النظري، تضمّنت رصد عدد من العوامل الوسيطة التي حاولوا اختبار مسؤوليتها في إحداث الفجوات المعرفية بين الأفراد، مثل نمط الاستخدام، وتعامل الفرد مع وسائل الإعلام، ومدى وجود دوافع لدى الفرد للتعرض وغير ذلك.

من خلال هذا الإطار النظري بمفاهيمه وعناصره، يمكن للباحث أن يوظفه لتفسير نتائجه المتوصل إليها في دراسته، كما تتيح له مجموعة من الفروض يمكن أن يختبرها، تتعلق بدور وتأثير السمات الشخصية للفرد وارتباطها بتحصيل المعارف من نشرات الأخبار، وتأثير مدى انحراط الفرد في أنشطة المجتمع، ومدى اهتمامه بالقضايا المثارة إعلاميا.⁶⁸

خاتمة:

إنّ التيارات التي ظهرت في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال سائدة حتى الآن، كما لا تزال المقاربات المنهجية والنظرية التي تم استعارتها من ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلعب دورا مهما في تحديد مشكلاتها البحثية، لكن بدأ الاعتماد على هذه المقاربات التقليدية في التراجع في ظل تطور وسائل الإعلام الجديدة، والتي تتحلّى الدراسات القائمة على المنظور الوظيفي الذي انتهجته هذه الدراسات من قبل. مع السعي لاستحداث مقاربات تنظر للموضوعات البحثية في إطار أعم وأوسع من الإطار الذي يحكم بيئة العمل في وسائل الإعلام التقليدية.⁶⁹

إنّ وجود مثل هذا العدد الكبير من النماذج النظرية التي يمكن الاختيار من بينها، يتيح مميزات كبرى لعلماء الاتصال، فكل نموذج يقدم مجموعة من الافتراضات الأساسية حول الظروف

الإنسانية سواء على مستوى الفرد أو المجتمع، وهي تقدم أوصافا شاملة للتنظيم والأداء، أو عمليات التغيير في المجتمع، أو تحدّد العوامل النفسية التي تتحكّم في سلوك الفرد.⁷⁰

وحسب "ميلفين ديفلر" و"ساندرا بول روكيتش"، فإنه لا يجب أن ننظر إلى حقيقة التنافس بين بعض النماذج التي تفسر شيئا واحدا كمصدر للبلبلّة والحيرة كما في حالة السلوكية في مواجهة النموذج المعرفي لتفسير وشرح سلوك الفرد. والمرء ليس في حاجة إلى أن يقرر أي هذه النماذج هو الصحيح حقيقة. فبشكل ما يمكن اعتبارها كلّها صحيحة، أو يمكن اعتبار أي واحد منها صحيحا، من حيث أنه يقدم مجموعة من الأدوات النظرية التي يمكن من خلالها استخلاص وتكامل المزيد من المفاهيم المحددة لفهم وشرح ظاهرة اتصالية معينة.⁷¹ إنّ وصف تخصص الإعلام والاتصال بملتقى التخصصات، يبرز بصورة جليّة من خلال هذه البراديجمات الأساسية التي وّجّهت البحث في مجال علوم الإعلام والاتصال، وهي متعددة، ومختلفة من حيث الخلفيات والتوجهات والأهداف.

❖ هوامش البحث:

¹ توماس كون (1922 - 1996)، يعتبر من فلاسفة العلم أو لنقل من مؤرخيه، سنة 1962 تبوأ مكانا متميزا في الساحة العلمية خصوصا بعد صدور كتابه "بنية الثورات العلمية". بعد ذلك عين أستاذا بجامعة (برينستون) "Princeton"، ثم انتقل إلى جامعة "بوسطن" (Boston)، حيث عمل بها حتى 1991. اهتم "كون" بدينامية الجماعات العلمية، فكان تحليل المنصب، بالإضافة إلى الجانب المعرفي، على الجوانب الاجتماعية والتاريخية باعتبارها محددات لا مناص منها لفهم الدينامية التي تحكم النظريات العلمية .

² ترجم الكتاب إلى 19 لغة، وبيعت أكثر من 740000 نسخة باللغة الإنجليزية بين 1962 و 1990.

³ حسين سعد، (البراديجمات المسيطرة في علوم الإعلام والاتصال وإشكالياتها المعرفية)، مساهمة في حلقة بحثية بعنوان " البراديجمات العلمية" لطلاب الدكتوراه اللبنانية، 2011، ص 03.

⁴ <http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/paradigme/57869>

(تاريخ الزيارة: 2018/01/28)

⁵ <https://en.oxforddictionaries.com/definition/paradigm> (تاريخ

الزيارة: 2018/01/28)

⁶ حسن الحريري، التأويل الإبستمولوجي اللاوضعي بين براديجم توماس كون وبرنامج بحث إيملر لاکاتوس، مؤسسة دراسات وأبحاث مؤمنون بلا حدود، الرباط - أكادال، المملكة المغربية، 2016، ص ص 03- 04.

⁷ توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص 136.

⁸ المرجع نفسه، ص 64.

⁹ المرجع نفسه، ص 63.

¹⁰ الحسن اللحية، (مفهوم البراديجم)، نقلا عن موقع:

http://www.hassanlahia.com/2015/08/blog-post_20.html

(تاريخ الزيارة: 2018/02/10).

¹¹ توماس كون، مرجع سبق ذكره، ص 123.

¹² حسين سعد، (البراديجمات المسيطرة في علوم الإعلام والاتصال وإشكالياتها المعرفية)، مرجع سبق ذكره، ص ص 15-16.

¹³ الحسن اللحية، مرجع سبق ذكره.

¹⁴ المرجع نفسه.

¹⁵ حسن الحريري، مرجع سبق ذكره، ص 03.

¹⁶ ألان لارامي، برنارد فالي، البحث في الاتصال عناصر منهجية، ترجمة: ميلود سفاري وآخرون، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004، ص 62.

¹⁷ حسن الحريري، مرجع سبق ذكره، ص 03.

¹⁸ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁹ ألان لارامي، برنارد فالي، مرجع سبق ذكره، ص 65.

²⁰ توماس كون، مرجع سبق ذكره، ص ص 58-59.

²¹ المرجع نفسه، ص 82.

²² المرجع نفسه، ص 83.

²³ حسن الحريري، مرجع سبق ذكره، ص 06.

²⁴ ألان لارامي، برنارد فالي، مرجع سبق ذكره، ص 66.

²⁵ ميلفين ل. ديفلر، ساندر بول روكيتش، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة: كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط 04، 2002، ص 63.

²⁶ حسين سعد، (البراديجمات المسيطرة في علوم الإعلام والاتصال وإشكالياتها المعرفية)، مرجع سبق ذكره، ص 11.

²⁷ محمد شومان، (إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية: الدراسات المصرية نموذجاً)، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة المنيا، أبريل 2004.

²⁸ عبد الرحمان عزي، (اللغة والاتصال)، الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، الأكاديمية العربية للعلوم، بيروت، لبنان، المجلد الثالث، ط 1، 2007، ص 245.

²⁹ ميلفين ل. ديفلر، ساندر بول روكيتش، مرجع سبق ذكره، ص 64.

³⁰ حمدي حسن، الاتصال وبحوث التأثير في دراسات الاتصال الجماهيري، كويك حمادة الجريسي للطباعة، الرياض، 1992، ص 82.

³¹ محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة، عالم الكتب، 2004، ص 231.

³² فريال مهنا، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002، ص 127.

³³ المرجع نفسه، ص 142.

³⁴ محمد عبد الحميد، مرجع سبق ذكره، ص 235.

³⁵ نجيب بخوش آليات التلقي الإعلامي لدى جمهور وسائل الإعلام دراسة تجريبية على عينة من مشاهدي النشرات الإخبارية التلفزيونية، أطروحة دكتوراه كلية علوم الإعلام و الاتصال، قسم الإعلام، جامعة الجزائر3، 2014/2015، ص 57.

³⁶ للمزيد حول هذا البراديجم يُنظر: ريمون رويه، السيبرنتيك وأصل الإعلام، ترجمة: عادل العوا، وزارة الثقافة، دمشق، 1971.

³⁷ كانت القوات العسكرية الأمريكية تواجه صعوبة كبيرة في إسقاط الطائرات الألمانية التي كانت تراوغ بسرعة كبيرة، وأسندت مهمة حل المشكلة إلى العالم "نوربرت فينر" مع فريق من العلماء من مختلف التخصصات كالطب، الرياضيات، علم النفس وغيرها، وتمكن "فينر" من إنشاء جهاز مكون من مدفعية أرضية وآلة حاسبة، حيث يتم تزويد الآلة الحاسبة بمعلومات مستمرة حول موقع الطائرة، ومن ثم يتم الكشف عن موقعها اللاحق، وكانت هذه بداية السيبرنتيقا التي تقوم على رجح الصدى.

³⁸ أرمان ماتلار، ميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة: نصر الدين لعياضي، الصادق رابح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 78.

³⁹ المرجع نفسه، ص ص 78-79.

⁴⁰ غي لاکروا، (السيرنطيقا والمجتمع: نوربرت فينر أو نکسات فکر متمرّد)، ترجمة: محمد أسليم، نقلا عن موقع: <http://www.aslim.ma/site/articles.php> (تاريخ الزيارة: 2018/02/18).

⁴¹ المرجع نفسه.

⁴² ألان لارامي، برنارد فالي، مرجع سبق ذكره، ص70.

⁴³ محمد شومان، إشكاليات قياس الرأي العام، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص ص 29-30.

⁴⁴ أرمان ماتلار، ميشال ماتلار، مرجع سبق ذكره، ص ص 167-168.

⁴⁵ عبد الرحمن عزي، السعيد بومعيزة، الإعلام والمجتمع" رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية والإسلامية"، الرسم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 110.

⁴⁶ بشير العلاق، نظريات الاتصال "مدخل متكامل"، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، 2009، ص85.

⁴⁷ Valérie Sacriste, **Communication et médias "Sociologie de l'espace médiatique"**, France, éditions Foucher, 2007, p306.

⁴⁸ للمزيد حول النظرية النقدية يُنظر: كمال بومنيّر، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوكهايمر إلى آكسل هونيث، لبنان - الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون - منشورات الاختلاف، 2010.

⁴⁹ رمضان بسطاويسي محمد، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت: أودونو نموذجاً، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1998، ص15.

⁵⁰ Philippe Cabin et Jean-François Dortier, **La sociologie: histoire et idée**, Paris, Sciences Humaines éditions, 2000, p.112

- ⁵¹ أرمان ماتلار، ميشال ماتلار، مرجع سبق ذكره، ص 85.
- ⁵² محمد عبد الحميد، مرجع سبق ذكره، ص 147.
- ⁵³ عبد الرحمان عزي، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص83.
- ⁵⁴ حمدي حسن، مرجع سبق ذكره، ص 86.
- ⁵⁵ بويكر بوخريسة، مذاهب الفكر الأساسية في العلوم الإنسانية، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص229.
- ⁵⁶ عبد الرحمان عزي، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية، بعض الأبعاد الحضارية، دار الأمة، الجزائر، 1995، ص 55.
- ⁵⁷ بويكر بوخريسة، مرجع سبق ذكره، ص 229.
- ⁵⁸ محمد شومان، مرجع سبق ذكره، ص 39.
- ⁵⁹ منير حجاب ، الموسوعة الإعلامية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، المجلد السادس، 2003، ص 2270.
- ⁶⁰ عامر مصباح ، الإقناع الاجتماعي " خلفيته النظرية وآليته العملية "، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2005، ص 54.
- ⁶¹ تنبع هذه الملاحظات أساسا من الاحتكاك المباشر مع الطلبة والباحثين في مستويات مختلفة: تدرج وما بعد التدرج
- ⁶² ألان لارامي، برنارد فالي، مرجع سبق ذكره، ص69.
- ⁶³ حسين سعد، براديجمات البحوث الإعلامية الإستمولوجيا - الإشكاليات - الأطروحات، دار المنهل اللبناني، لبنان، ط1، 2017، ص178.

- ⁶⁴ شريف درويش اللبان، هشام عطية مقصود، مقدمة في مناهج البحث العلمي، الدار العربية للنشر والعلوم، القاهرة، ط2، 2012، ص80.
- ⁶⁵ عزيز لعبان، (الخلفية النظرية لبحوث الإعلام وعوامل بروزها)، الوسيط في الدراسات الجامعية، دار هومة، الجزائر، ج 04، 2003، ص 17.
- ⁶⁶ ميلفين ل. ديفلر، ساندرابول روكيتش، مرجع سبق ذكره، ص 74.
- ⁶⁷ شريف درويش اللبان، هشام عطية مقصود، مرجع سبق ذكره، ص80..
- ⁶⁸ المرجع نفسه، ص81.
- ⁶⁹ السيد بخيت، الجديد في بحوث الصحافة، مدارس غربية واسهامات عربية، دار الكتاب الجامعي، العين - الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011، ص129
- ⁷⁰ ميلفين ل. ديفلر، ساندرابول روكيتش، مرجع سبق ذكره، ص 77.
- ⁷¹ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.